السراب على البحر

لا القوم راحوا بأخبارٍ ولا جاءوا ... ولا لقلبك عن ليلاك أنباءُ،
جفا الربيعُ لياليَنا وغادرها ... وأقفر الروضُ لا ظل ولا ماءُ
يا شافي الداء قد أودى بي الداءُ ... أما لذا الظمأ القتَّال إرواءُ
ولا لطائر قلبٍ أن يقرَّ ولا ... لمركب فزع في الشط إرساءُ!
عندي سماء شتاءٍ غير ممطرةٍ ... سوداء في جنبات النفسِ جرداءُ
خرساء آونة هوجاء آونة ... وليس تخدع ظني وهي خرساءُ
وكيف تخدعني البيداءُ غافية ... وللسواقي على البيداء إغفاء
أأنتِ ناديتِ أم صوتٌ يخيل لي؟ ... فلي إليكِ بإذن الوهم إصغاءُ
لبيك لو عند روحي ما تطير به ... وكيف ينهضُ بالمجروحِ إعياءُ

* * *

تفرق الناس حول الشطِّ واجتمعوا ... لهم به صخبٌ عالٍ وضوضاءُ
وآخرون كسالى في أماكنِهم ... كأنهمْ في رمال الشط أنضاءُ
هم الورى قبل إفسادِ الزمان لهم ... وقبل أن تتحدَّى الحبَّ بغضاءُ
ضاقت نفوسٌ بأحقادٍ ولو سلمت ... فإنها كسماء البحر روحاءُ ...
تألقتْ شمسُ ذاك اليوم واضطرمت ... كأنها شعلٌ في الأفْقِ حمراءُ
طابت من الظل، ظل القلب ناحيةٌ ... لنا، وقد صَلِيَتْ بالحرِّ أنحاءُ
ما لي بهم، أنت لي الدنيا بأجمعها ... وما وعت ولقلبي منك إغناءُ

لـو أنـه أبـدٌ مـا زادَ عـن سـنـةٍ ومـدةُ الـحـلـم بـالـجـفـنـيـن إغـفـاءُ
أرنـو إلـيـك وبـي خـوفٌ يـسـاورنـي وأنـثـنـي ولـطـرفـي عـنـك إغـضـاءُ
إذا نـطـقْـت فـمـا بـالـقـول مـنـتـفـعٌ وإن سـكـت فـإن الـصـمـتَ إفـشـاءُ
وأيـمـا لـفـظـة فـالـريـحُ نـاقـلـةٌ والـشـطُّ حـاكٍ لـهـا والأفـقُ أصـداءُ
يـا لـيـل مـن عـلـم الأطـيـارَ قـصـتـنـا وكـيـف تـدري الـصـبـا أنـا أحِـبّـاءُ؟
لـمـا أفـقـنـا رأيـنـا الـشـمـسَ مـائـلـةً إلـى الـمـغـيـب، ومـا لـلـبـيـن إرجـاءُ
شـابـت ذوائـبُ، وانـحـلـت غـدائـرُهـا شـهـبـاء في ساعة التوديع صفراءُ
مـشـى لـهـا شـفـقٌ دامٍ فـخـضـبـهـا كـأنـه فـي ذيـولِ الـشـعـرِ حِـنـاءُ

* * *

يا من تنفس حر الوجد في عنقي كما تـنـفـس فـي الأقـداح صـهـبـاءُ
ومن تنفستُ حر الوجد في فمه فـمـا ارتـويـت، وهـذا الـري إظـمـاءُ
ما أنت عن خاطري بالبعد مبتعد ولـن تـواريـك عـن عـيـنـيَّ ظـلـمـاءُ